JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ
العدد الثاني عشر
(٤١٥)- (٤٣٨)

انطولوجيا الجسد في شعر حسن سالم الدباغ
"جدلية الثابت والمتحرك"

ا.م.د.شاكر عجيل صاحي الهاشمي
جامعة واسط/ كلية الآداب
salhashimi@uowasit.edu.iq

المستخلص

تعد هذه المقاربة النقديّة المكثفة الّتي تسعى لمعاينة نصٍ شعري حديث، وهو أنموذج فاعل في الشعر العراقي للشاعر حسن سالم الدباغ عبر استثمار ميله الواضح لتوظيف الجسد فيه، فالدباغ يراهن فعلياً على استلزام القدرة الإيحائية والتعبيرية للجسد عبر منافذه المتعددة وأركانه المتفاوتة، تلك القدرة التي تتوازى – إن لم نقل تفوق – القدرة اللسانية في التعبير الحكائي والتدليل الشعري، فهي تفتح المجال أمام الرؤى التخييلية والإيحائية الّتي تزيد من فرص إشراك القارئ في إنتاج الدلالة والتعويل على وعيه في تحسس القيم الفنية في النص، يرتهن النص الأول الّذي ورد بعنوان (تمثّلات الجسد "النسق الثابت") في قدرة الشاعر على زج تمثّلات الجسد في النص ضمن مساراتها الثابتة، متنقلاً بين الوجه والرأس واليد، أما المبحث الثاني فقد انتهى إلى رؤية نقدية واضحة متعلقة بـ (التحولات الدلالية للجسد) عندما يترجم الجسد رؤى الكاتب أو الشاعر إلى تجليات دلاليّة مثل الجنس والشهوة والحياة والموت والحب والكره، إلى غير ذلك من معطيات دلاليّة ناتجة عن توظيف الجسد في النص.

الكلمات المفتاحية: انطولوجيا، الجسد، شعر، الثابت، المتحرك

The Ontology of the Body in Hassan Salem Al-Dabbagh's poetry polemics of the Unmovable and Movable.

Asst.Prof, Phd. Shaker AjeelSahi Al-Hashimi
salhashimi@uowasit.edu.iq

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

Abstract

This intensive critical approach, which seeks to see a modern poetic text, is an effective model in the Iraqi poetry of the poet Hassan Salem Al-Dabbagh by investing his clear tendency to employ the body in it. Al-Dabbagh is actually betting on the commitment of the suggestive and expressive ability of the body through its multiple outlets and different corners, which is equal to_ , if not say, the linguistic ability to speak and poetic proof. It opens the way for imaginary and suggestive visions that increase the chances of involving the reader in producing connotation and reliance on his consciousness in sensing artistic values in the text. The first text, entitled “the representations of the body" depends on the poet's ability to include the representations of the body in the text within its fixed paths, moving between the face, head and hand. The second section ended with a clear critical vision related to (semantic transformations of the body) when the body translates the visions of the writer or poet into semantic manifestations such as sex, lust, life, death, love, and hatred, to other semantic data resulting from the use of the body in the text.

Keywords: ontology, body, poetry, movable, unmovable.

المقدمة

إنّ موضوع الجسد من الموضوعات الفكريّة الوجوديّة المهمة الّتي تتفاعل إلى حدٍ كبير مع العلوم الانسانيّة والعلميّة على حدٍ سواء، فالجسد ليس مجرد مظهر فيزيائي يشغل حيزاً في الفراغ؛ بل هو كتلة ماديّة دلاليّة فاعلة تستنتج سياقاتها وقوانينها من الطبيعة الحيّة للحياة، وقد حضر الجسد في دراساتٍ ومقارباتٍ نقديّةٍ كثيرة حاولت أن تفك شفرات توظيفه وأن تقف على أبعاده الوجوديّة في النص، وحتى لا نجافي الحقيقة يمكننا القول أن نسبة كبيرة من تلك الدراسات لم تحاول أن تتوخى ما ورائيات الجسد وما يحيل إليه من دلالات فكريّة عامة تتحرك ضمن نطاق فكري واسع في النصوص الأدبيّة.

وحتى نصل إلى رؤية فكريّة حديثة تتعلق بمعاينة الجسد وتحريك مداليله الفكريّة في النص، إزاء تجربةٍ شعريّة فاعلة، للشاعر العراقي حسن سالم الدباغ وهو أحد شعراء الجيل التسعيني العراقي، إذ يجسد هذا الشاعر فكرة الجسد عن طريق قدرتها الكبيرة في التشظّي إلى مداليل فكريّة متعددة، فقد

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

اتسم نصه الشعري بالشموليّة الدلاليّة الّتي جعلته يتأسس على نطاق فني مرن، تتحفز فيه الطوابع الفكريّة للجسد بين الجنس والشهوة والفداء للحياة والكرامة والحب والإصلاح، وغيرها من القيم الدلاليّة المتحركة الّتي تختصر حراكيّة النص في هذا المجال على وفق رؤية شموليّة عامة.

لا يقف نص الشاعر الدباغ بطبيعة الحال عند هذا الحد من التفاعل مع فكرة الجسد لكنه يتعدى ذلك إلى الوثوق بفاعليّة الجسد كذلك في التخصيص الدقيق الّذي يجعل كلّ عضو من أعضاء الجسد يسير بأتجاه ومسار موازٍ للمسارات العضويّة الأخرى الّتي تبني لفكرة الجسد حضوراً فكريّاً معيناً، فضلا عن ذلك فإن الجسد يتميز بحضوره المميز في الشعر العراقي الحديث، وربما يرجع ذلك إلى تباين البيئات الفكريّة والشعريّة الّتي عاشها أغلب شعراء العراق وهم يتنقلون فكريّاً بين الوجوديّة والشيوعيّة و المرجعيّة الدينيّة والصوفيّة والمراتب الفكريّة الأخرى، ليتسم موضوع الجسد على أثر ذلك بالتمثيل والتمظهر العالي المتمثّل في الأشعار الّتي تقود إلى الجسد على أنّه رواق مهم يحفز الجوهر الفكري والدلالي وصولاً إلى رؤية فنية وجوديّة جماليّة متكاملة تمثّل الهويّة الفنية والسياقيّة للشاعر والتجربة الفنية بوجه عام.

أنطولوجيا الجسد "الثبات المفهومي"

ترتهن فكرة الجسد برهانات كثيرة تجعلها محط الإثارة والتفاعل ولاسيما في تداخلها وتفاعلها مع النصوص الأدبيّة والأنواع الفنية بوجه عام، لكن من الضرورة في مكان التعرف على المعنى اللغوي للجسد قبل الولوج إلى معناه الاصطلاحي، فالجوهري يرى في معجمه أن الجسد يشترك مع البدن والجسم في معنىً واحد فنقول تجسد الجسد وتجسم الجسم والجسد بمعنى الزعفران أو نحوه من الصيغ وهو (الدم) والمِجسد بكسر الميم مايلي الجسد من الثياب(الجوهري، ١٩٩٠: ص ١/ ٤٥٨)، لكن صاحب المعجم الوسيط يفرق بين الجسد والجسم فالجسد هو الثوب ونحوه والجساد الدم اليابس أما الجسم فهو كل ماله طول وعرض وعمق، كل شخص يدرك من الإنسان والحيوان والنبات(مجمع اللغة العربية،٢٠٠٤: ص ١٢٣،١٢٤) فهو الإطار التركيبي الموارب للذات والّذي يبرهن على حقيقة الوجود عبر سياقاته التكوينية والفيزيائية الخاصة، لذلك يشترك معناه اللغوي مع البدن والجسم على نحو مترابط انطلاقاً من حقيقة التواصل المعرفي بين المصطلحات الثلاثة وتواشجها فيما بينها.

ومن باب مفاهيمي آخر فإن الجسد يقودنا إلى تخريج دلالي مغاير عندما يتم تعريفه على أنه الشيء المادي الموجود في الزمان والمكان ويخضع للقوانين والمعطيات الفيزيائيّة كما أنه معطى موضوعي تركيبي وفيزيائي يمكننا التفاعل معه بوصفه مادة مجسدة يمكن التحكم فيها وتقطيعها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

وتركيبها فهو يتمتع بنظام وظائفي تتعين وظيفته تبعاً لجنس وسن حالة الشخص نفسه، فضلاً عن ذلك فإن له جملة من المنتجات الوظيفية البيولوجية كالحليب والدم واللعاب والعرق والمني مروراً بما يطرحه من فضلات وشعر وأظفار وجلد ميت وغيرها من تخريجات الجسد(السباعي، ٢٠١١: ص٢٣)، اعتباراً لهذه الفكرة الرئيسة يبقى مفهوم الجسد واضحاً جليّاً سهلاً، غير أن هذا المفهوم سيتشعب ويتعقد بطبيعة الحال تبعاً لوظائفه والبيئة الّتي تحيط به وجنسه ونوعه الوجودي المخصص.

المبحث الأول

تمثّلات الجسد " النسق الثابت "

الجسد دالاً اشاريا

يمكن القول إن الجسد هو أحد أبرز الأنساق التواصليّة الّتي لا تتعامل بالمنطوق، لأنه متسع الشهوات ومحقون بالإرادة الخاصة ولاسيما الإرادة الجنسية المضادة، كما أن الجسد جزء من الطبيعة الحياتيّة فيتوجب عليه أن يتحرك ويمارس حريته كأي شيء فيها وأن يتنفس ويحيا كما تحيا الكائنات الأخرى(معلا، ٢٠٠٩: ص٢٢٠،٢٠٩)، كما أن الجسد على حد تعبير ميشيل فوكو هو حفريات السنين بمؤثراتها وتفاعلاتها، فهو المكان الّذي تنصهر فيه الأنا والميدان الواسع الّذي تُسجلُ فيه الحوادث والأفعال من لغة وأفكار(العيادي، ١٩٩٤: ص ٩٠)، وهو بذلك يحقق تواصليّة كبيرة مع ما يحيط به من شخوص وأشياء أخرى من مجسدات وجماد على خلفيّة تلك التفاعلات الخاصة الّتي تتبناها الأجساد فيما بينها، فضلا عن ذلك فإن الجسد يبرهن على الخصوصيّة الذاتيّة الّتي توغل بالتحديد البيبلوغرافي للشخصيّة عبر البصمات الذاتيّة الخاصة الّتي لا يمكن أن تتقارب أو تتشابه أو تتعاضل مع بصمات لجسدٍ ثانٍ، وعلى هذا الأساس صار بالإمكان تلقي موضوع الجسد على أنه من أكثر الموضوعات الفكريّة الفيزيائيّة الوجوديّة تأثيراً وتداخلا في بنية الأدب عموماً والقصيدة الّتي تنفتح على الذات على وجه الخصوص.

إن للجسد أعضاءً تتواشج فيما بينها لتكون في النهاية خطاً تركيبياً خاصاً بالشخصيّة يمكنه أن يميزها عن غيرها من الشخصيّات الأخرى، فضلاً عن ذلك فإن هذه الأعضاء تتواصل تأثيرياً بالحالة النفسيّة للشخصيّة إذ "يتأثر الوجه بالمشاعر النفسيّة فالجبهة والعينان والحاجبان والخد والشفتان والفم كلها أعضاء تقوم بدور مهم في التعبير فلكل حركة وإيماءة تفسير معين(الحوري، ٢٠١٨: ص ٤٧)، فضلاً عن ذلك فإن هذا التأثير التعبيري له خصوصية كذلك عندما يبرهن على أشكال ذلك التعبير تبعاً لتغير أعضاء الجسد وتبدلها وتبدل توظيفها "فتصعيد الخد كبراً وانفراج الشفتين ضحكاً أو بكاءً،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

والعض على الشفة ندماً وقلقاً وارتفاع الأنف شموخاً وعزاً، وانكساره ذلا ورغماً"(ابراهيم، ٢٠١٠: ص٣٤)، من هنا صار ملزماً البحث في تجليات الجسد عبر أنماطه وأشكاله التعبيرية الخاصة، لنقف في خصوصية حضور هذه الأعضاء في القصيدة العراقيّة الحديثة الممثلة في نص الشاعر حسن سالم الدباغ.

تتمحور قصيدة الشاعر العراقي حسن سالم الدباغ حول تجليات متعددة، وتدور في موضوعات مختارة وعلى وفق رؤية ذاتيّة مركزة، تتنوع بطوابعها وأشكالها بين الوجداني والمعرفي المرجعي والسياسي، ولا غرابة في القول إن قلنا إن الجسد كان واحداً من أبرز السياقات والتمظهرات الّتي يتكئ عليها الدباغ في قصائده الشعريّة، لكن اتخاذ الجسد عبر أنماطه وتمظهراته التركيبية كل على حدٍ سواء يجعلنا أمام تحديد مباشر للطابع الأسلوبي الخاص للشاعر، الّذي يبرهن من خلاله على طاقته التعبيرية في تمييز بين أطراف الجسد وتجلياته الظاهرة وتبيان عمقها التأثيري على النص بوجه عام:

أولا:الوجه :

من أهم الأعضاء الجسدية الّتي تحفز الدوال التعبيرية هو الوجه، فالوجه هو المرتكز الأساس للجسد، وفيه تتمحور كل الطاقات التأشيرية والتوجيهية كما أن "الوجه من دون تلاعب بالكلمات عاصمة الجسد"(لوبرتون،١٩٩٣: ص ٤٨)، فضلا عن ذلك فإن وجه الإنسان هو الجزء المشرف الّذي يواجه به الآخرين إذ يتم التمييز فيه بين إنسان وآخر، وعلى هذا الوجه تتحدد ملامح الحزن والفرح والسعادة والشقاء، كما ترتسم ملامح الغضب والقلق والسكينة والخجل والتبجح بوصف الوجه مرآة تنعكس عليها النفسية الباطنية كلها(الحوري، ٢٠١٨: ص٤٦)، وعلى هذا الأساس الواضح، تتجلى أهمية الوجه في التجسيد المباشر لفكرة الجسد وتوظيفها بما ينسجم والرؤية الفكرية والفنية للنص، ومن الشواهد البارزة الّتي وظف فيها الدباغ جسديّة الوجه ما جاء في قوله:

"رمادا يصيره الوجد

ويخفق نجما

ليبصر وجه (سكينة) مشتعلا بالأنوثة

عاشقا كان

وها هو ذا ألآن

يجلس مرتبكا دون حلم

ووجه سكينة ملقى وراء الزمان

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

هل غادرته الطفولة...؟

ملك أتعبته الهزائم

يبحث فينا عن التاج

والعرش

والصولجان

أنت ذا ترتدي الحزن

تشربه من دموع النخيل

وصمت كثيف"(الدباغ "والجنوب إذا تنفس": ص٣٣).

يبدأ الشاعر قصيدته هذه باستثمار ثيمة الفقد والفراغ الوجداني الذي تسرّب إلى الذات الشاعرة عبر استحضار حالة استشهاد (سكينة) وهي طفلة ترتدي وجه الحياة في ربيعها الأول، تنحدر القصيدة بطبيعة الحال إلى بعد تركيبي مرجعي متقن عندما يبرهن الشاعر على الامتداد المرجعي للقصيدة وهي تنسل إلى الحاضر بحرارة وتجلٍ، فسكينة تختبر قدرة الشاعر في تجسيد انفتاحه الواعي لينهل من ترسيمته التاريخية والمرجعية عبر سياقات هذه القصيدة، إن الجسد في هذه القصيدة متمثل وحاضر في صورة الوجه التي حضرت في القصيدة بوصفها مهيمنة أيقونية ودلالية، فقد أشار الشاعر إلى هذا التمثيل الجسدي (الوجه) عبر دفعه إلى قوله ما وراء الزمان، في إشارة وكناية واضحة إلى قدم هذه التجربة التركيبية المتمثلة في الوجه من جهة، واقتصارها على الذات الإنسانية من جهة ثانية.

يجسد الشاعر ثيمة الجسد عبر استثماره فكرة الوجه بوصفه أيقونة توجيهية مهمة تكون على اتصال مباشر وفاعل مع الشخصيات المحيطة بها، هذا في عموم جنس البشر لكن القضية تختص بشكل كبير إذ ما اقتصرت على المرأة أو الفتاة أو النساء بوجه عام، فالوجه في المجتمعات العربية والإسلامية بحكم النظم العقائدية والمجتمعية يعد هو الركن الأبرز لدى النساء فهو الجزء الوحيد الظاهر من الجسد وهو الجزء الوحيد الموارب لبقية أركان البيئة المحيطة، فالشاعر مثّل هذه الفرضية بوعي كبير عندما اختزل صورة الأنوثة في الوجه جسدها على فكرة الاشتعال، وكأنها ترتدي وجهاً مكتنزاً بالطاقة والحيوية الّتي تنتظر لحظة اشتعالها بوجه الزمان، فكانت هذه التركيبة توظيفاً سياقياً ونسقياً في الوقت نفسه.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

ولن تقف هذه الفكرة عند حدٍ معين قبل أن يتم استثمارها بالشكل الفني المناسب، فالوجه مرتكز مهم من مرتكزات الجسد، لذا فإنه يتجلى مثل قمر الكمال في كل ملمح من ملامح الحياة، ومن تلك التمثّلات المهمة ما ورد في قول الدباغ في قصيدة أخرى:

"مطر كالعقيق النجوم

داخلا كنت في الليل أم خارجا

حيث في الكأس خلّفت وجهك

سيدتي

الي منك ما أشتهي

والخطى في الظلام لها طعمك الفستقي ..؟

جرّب البرد

رائعة حلكة الليل

بل رائعا كان وجهك"(الدباغ، لمصابيحك ارتديت عنقي: ص٥٢).

تستفرد هذه القصيدة بسيل مستطيل من الدفق العاطفي الخالص الّذي تجسد في ثيمة الجسد عبر منظومة الوجه الموارية للعالم والمطلة على كل تجلياته وتفاعلاته الفكرية، يبدأ الشاعر نصه بنرجسية شفافة شبهها بالعقيق والمطر الّذي يهبط على ثنايا الوجه مثل سجايا البرد، ويقرن تلك التركيبة بإطار زمني خاص وهو الليل، فالليل يبرهن على خصوصية اللحظة واكتساحها لبقية أوقات النهار، فهي لحظة التوحد مع الذات والتجرد من الذوات الأخرى الّتي تعلق فينا بقصد أو غير قصد، وربما يتساءل سائل عن سر توظيف الوجه بوصفه عضواً جسدياً في وجه الكأس، فتلك تمثّل صورة حيّة من صور المفارقة الجميلة الّتي اختزلها الشاعر في ثنايا وجه الحبيب.

إنّ انطباع صورة الوجه في الذهن يعني انطباعها في الوجدان والروح على حدٍ سواء لذلك ستحتل هذه الصورة الوجداني وتنمو وتزهر في كل مكان يحضره الإنسان، فعلى الرغم من سواد الليل وقسوته إلّا أن هذا الإحلال والإسقاط نجح لدى الشاعر عندما رأى صورة الحبيب متمثّلةً في وجهه الّذي زين صورة الكأس، ليحضره نديماً يداوي فجوة الجفاء وخطورة الفراق، ثم يعود الشاعر ثانيةً لتثبت فكرة خصوصية اللحظة الليلية عندما يقول (والخطى في الظلام لها طعمك الفستقي) وهذه الخصوصية في الطعم والمذاق جسدها حضور الوجه الّذي تخيلته الذات الحالمة، فهو يبث إليها هيجانه الجسدي في هذه اللحظة الشعورية الخاصة (إلي منك ما أشتهي) فالشهوة ترتسم على محياه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

وتبرهن على تجليات روحه تجاه حبيبته، فهو لم يرَ وجهها في وجه الكأس غير أن رآها بكامل مفاتنها الحيّة الّتي لطالما تناغمت روحه باتجاهها، على هذا النحو استثمر الشاعر طريدته الخاصة باختزاله فكرة الوجه الّتي هي أيقونة مهمة من أيقونات الجسد.

ثانيا: الرأس :

يمكن القول إن لكل عضو من أعضاء الجسد وظيفتَه التعبيرية والتأثيرية الخاصة ويمكن للفرد إرسال الإشارات والرموز وتوظيفها ضمن لغة تعبيرية خاصة كما أن هذه الرموز تختلف في تلقيها وفهمها من بلد إلى آخر، بل إنها تختلف من أسرة إلى أخرى ولا نختلف إن قلنا أنها تختلف بين زمن وآخر في توجيهات الشخص نفسه تبعاً للمؤثرات الخارجية التي يعيشها الإنسان والظروف الاجتماعية والأسرية المحيطة به(محمد، ٢٠١٥: ص١٠٩)، ولم تزل فكرة الرأس الّتي تداخلت بشكل واضح في شعر الدباغ جدلية متعالقة مع ثيمات وأفكار وسياقات دلالية كثيرة، ومن أوضح تلك التداخلات الّتي وظفها الدباغ إيماناً بسياقات الجسد ما ورد في قصيدته:

" هم إذن يلتقون
لهم يومهم
وللحزن ما يشتهي
فأن مسّهم طائف منه
تحسّس أحدهم ....
رأسه
كي يذكرهم بالذي بينهم
من شجون
حتى اذا نضجت أصبع الحزن فيهم
أشارت :
أن اقتسموا ما اعدّ لكم
في وعاء الجنون"(الدباغ، مثلي لا يكتفي القمر بنجمته: ص١٣٣).

يختبر هذا النص حضوره الفاعل في تمثيل ثيمة الجسد عبر ترسيمة الرأس الّتي هي الجزء الرئيس من الجسد، فالجسد هنا حالة حضورية ماثلة في تجلي الرأس بوصفه مرتكزاً أساسياً فيه، فالدباغ يضع الشهداء الّذين نذروا أرواحهم للوطن وللحياة موضعاً خاصاً عندما يبرهن على دمجهم

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

بمشاعر الحزن والأسى، فهم تصدعوا ليرمموا الحياة المليئة بالظلم والاضطهاد واليأس هم رمّموا هذا الصدع بأجسادهم الأثيرة الّتي ظلت تراود وحيهم إلى الأبد، من جهةٍ ثانية يعاين الشاعر موضوع الرأس معاينة خاصة ومركزة عندما يجعله مركزاً للتحسس الذاتي فهم يتحسسون رأسهم لأنه مصدر إلهامهم ومصدر صناعة قراراتهم الفكرية، تدخل القصيدة في جو من التراجيديا الحزينة الّتي تتوازى مع ثيمة الموضوع وفكرته الأساسية.

ويقف نصٌ آخر عند حدود الجسد موظفاً فكرته الرئيسة فيه، لكنه يعمل بنظام أكثر تخصيصاً عندما ترتكز فكرة الإسناد إلى الرأس بوصفه محور الجسد ومحركه الفعلي، فالقصيدة تخالج النفس بدلائلها الفكرية والعاطفية على حدٍ سواء:

"الجرة تسبل فوق العشب بيديها

رحم ملتهب

خرب ...

خمس جرار

تحمل رغبة أنتي . مينا

في الحب وماء فحولته

عجب ...

رأسي

وحقيبة طفل

نخرج من ماءين

رأسي

وحقيبة طفل

حلم في رأسين"(الدباغ، والجنوب إذا تنفس: ص ١١٤).

تتلون هذه القصيدة للشاعر حسن سالم الدباغ بأطياف أسلوبية متعددة عندما تدخل بإطارها الوجداني الذاتي وتتوازى مع بحثها الجنسي الجندري وتبرهن على الطابع الفكري في الوقت ذاته، فالقصيدة مستوحاة من خيالات الشاعر الّذي جسّد خصوصية الجسد عبر خاصية الرأس، ومن ناحية أخرى تظل القصيدة ضالعة في جانبها البلاغي المحكي عندما يتم استبدال الجرار بالرؤوس وتختزل فيه فكرة الماء عبر حساسية الموقف الجنسي والجسدي.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

لقد استعان الشاعر إلى جانب توظيفه لفكرة الجسد إلى معاينة جديدة للجسد جعلته يتخذ من الرأس وسيلة للعدد ذلك أنه أراد عبر هذه الترسيمة أن يظهر عمومية المشهد الإنساني المفعم بالفحولة والتكاثر، وهذه معطيات تتوازى كلياً مع فكرة الجسد ومؤثراته الخاصة، لقد عطفت كلمة الحقيبة إلى كلمة رأسي وهي حقيبة طفل خالية من الذاكرة المكتنزة بل هي تعيش على ذاكرة مرتجعة وبسيطة، فضلا عن ذلك فإن الشاعر ترجم الحضور الجسدي في القصيدة انطلاقاً من جدلية الأنا والآخر الّتي عززتها فرضية الجسد ولاسيما ذكر كلمة الماء الّتي توازت إلى حدٍ كبير مع ما جاء في القصيدة من توافقية كبيرة مع فضاء الجسد.

ثالثا : اليد :

من المجالات المهمة للجسد مجال اليد، واليد عضو جسدي مهم كذلك، ومثلما أن للوجه لغةً تعبيرية خاصة فإن لليدين لغة تعبيرية خاصة "إن حركة اليد وهيئتها المختلفة، قد أدت من المعاني وأظهرت من الدلالات أكثر مما تؤديه اللغة المنطوقة، وإن تصوير الحركة أبلغ أثراً وأبعد مدىً من تعبير اللسان"(إبراهيم، ٢٠١٠: ص ١٠٩)، وهذه اللغة المخصوصة تكون عادةً مستندة إلى طاقة إشارية عالية تتوافق كلياً مع الباث والمستقبل على حدٍ سواء.

أما فيما يتعلق بالسياقات الشعورية فاليدان تؤديان "دوراً كبيراً ومعبراً عن الكثير مما يدور في داخل الإنسان، مما لا ينطق به عن طريق الكلام، فتعوض عنه اليدان بحركاتها الّتي تمثّل رسائل واضحة للآخرين عما يريد الشخص قوله أو فعله تجاه الآخر، وقد نشير عبر اليدين إلى العنف أو الحب أو الكراهية أو التعاملات اليدوية الطبيعية"(الحوري، ٢٠١٨: ص٧٣)، لتظل هذه الخصوصية الميدانية لليدين فاعلة جداً في رسم شكل التعامل المباشر للإنسان مع الآخر عبر افتراض وجوده ضمن محيطه الفكري والبيئي المباشر.

ومثلما كان حضور الوجه والرأس حضوراً فاعلاً للدلالة على التمثّلات الجسدية في شعر الدباغ نجد أن لليد تمثيلاً واضحاً في بنية القصيدة لديه ومن ذلك ما جاء في قوله:

" ربما
لغمر أصابعها
بما يرتدي العشب
أو بما تدلق الشمس من فضة
في يديها "(الدباغ، مثلي لايكتفي القمر بنجمته: ص١٠).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

يحاول الشاعر في قصيدة (دمعة الفضة) الإجابة عن تساؤل قديم ظل يجسده في قصائده على مدار الديوان، فهو يبوح بوجده لفرط انتمائه للذات الأنثوية عبر مسارات غير متناهية، فبهذا المقطع المكثف يستثمر الشاعر الطاقة التدليلية في اليد عبر الأصابع ليكون الجسد مشاركاً فعلياً في البحث عن ذاته الهاربة الّتي تحاول أن تجد موطئاً لها في فضاء حياته، إن الشاعر جسد فكرة الكثرة والوفرة الّتي احتاجها في النص وكأنها تتضمن أصابعَ أكثرَ مما ينبغي، ويقرن الأصابع بالعشب في تشبيه مباشر يحاول أن يبث صورة الحياة، ويعيد هذا الافتراض الجديد مرة أخرى عندما يبرهن على نصاعة اليدين وهو يشبهها بما تدلقه الشمس من فضة ناصعة البياض، هذا التشبيه يقود إلى كناية جلية وواضحة تتحدر من حضور الجسد في النص ومن فاعلية اليد كذلك وهي نصاعة اليد الّتي تقود إلى نظافتها وأمانتها وجمالها، فهي كالشمس في كرمها وكالفضة في نقائها، وبذلك تكون اليد قد أوحت عبر سماتها النصية بما يجعل الجسد عنصراً فعالاً ومضيئاً داخل بنية القصيدة.

إن لديوان (والجنوب إذا تنفس) خصوصية كبيرة في تمثيل دالة الجسد ولاسيما اليد الّتي حضرت بتفاعلٍ كبير حرص الشاعر على توظيفها إيمانا بما تمليه من سياقات وأفكار تبوح بالكثير بعيداً عن مستلزمات الصمت والسكوت:

"عندي من الصمت الكثير

وقد محوت ملامحي

ويديّ من قلقٍ إلى جسدي أضمهما

مخافة لو غفوت ستوقظاني

يا صاحبيّ

فمن أشار اليّ كي يلقي قميص الرمل

عن جسدي

ويفتح ما أشتهى مني

لتنسلا اليّ وتسكناني(الدباغ"مثلي لا يكتفي القمر بنجمته: ص ٥٣).

تعد هذه القصيدة من القصائد الوجدانية الخاصة في هذا الديوان والّتي حرص فيها الدباغ أن يوظف الجسد عبر منظومة اليدين اللتين حاول أن يبرهن على طاقتهما التعبيرية والتدليلية الخاصة، لقد بدأ الدباغ باستهلال واضح أدى إلى تأزيم الموقف الشعوري لديه عبر تجسيد فكرة الصمت والبعد عن الكلام بشكل متعمد فلديه من الصمت الكثير، وقد أدى هذا الصمت بطبيعة الحال إلى محو

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

ملامحه ومحاولة تعويمه وإبعاد الخصوصية التوجيهية له، فالكلام هو تمثيل وسلوك يبرهن على الوجود ويبرهن على الحياة كذلك وهو بصمة شخصية واضحة، لكن الشاعر انكفأ إلى نفسه بشكل كبير عندما مثل صورة الحياة بإطارها الخفي الذي يحاول أن يلتقط لها صورة تركيبية عبر الستارة الخلفية التي تبعده عن الأضواء وتبدد امتيازه عن الآخرين.

لقد جسّد الشاعر موضوع الجسد في هذا النص من فيض إيمانه بما تمتلك اليدان من قدرة إيحائية عالية، فاليد تتمرد على الإرادة أحيانا لو عصي الأمر على اللسان، فهو يقول "ويديّ من قلق إلى جسدي أضمهما" فهم يؤمن بخطورة انفتاحهما إلى الآخر عندما تحين الفرصة المناسبة، لكنه في الوقت نفسه يعيد إيمانه باليدين من جديد فهما سر مهم من أسرار يقظته وانبلاجه إلى العالم من جديد، فاليدان سيسكنان روحه المملوءة بالتردد والترحال لكن هذا الامر لن يطول لأن اليد هي لسان من ألسنة اليقين التي تتحدث عن الإرادة وتبرهن على الوجود في الّتي تصنع وتدافع وتكتب وتفاوض وتناوب على مراحل الحياة من أولها إلى آخرها، وعلى هذا النحو المركز جاءت فكرة الحضور الجسدي في هذه القصيدة ولاسيما أنه استطاع أن يختار اليدين اشتراحاً تمثيلياً مباشراً يتفق ورؤاه وأفكاره الّتي تتفاعل بشكل كبير مع البيئة الثقافيّة والحياتيّة المحيطة به.

المبحث الثاني

التحولات الدلالية للجسد"النسق المتحرك"

مدخل:

إن من أهم المحاور البحثية التي يُستنتج من موضوع الجسد قدرته على التحول المباشر من التمثل المادي إلى العمق الدلالي، فالجسد دالة موضوعية رئيسة تتشظى إلى عدد كبير من الدلالات الفاعلة، وهو بذلك يمثل حركة استعراضية (أفقية) تختلف اختلافاً واضحاً عن الحركة العمودية الثابتة، وبطبيعة الحال فإن الجسد يتحرك ضمن هذا النطاق الفكري الحي ويخلص إلى العديد من الموضوعات المتنوعة بحكم نشاطه الدلالي في حقول المعرفة الإنسانية، الّتي تتنوع بين الآداب والفنون والتاريخ وغيرها من الفنون الأخرى، فأضحى الجسد رافداً مركزياً للأفكار الحية التي تتنوع وتتأسس على وفق نظام أيديولوجي متكامل، يصنع منها في النهاية رافداً معرفياً حياً.

إن للجسد بعدين اثنين مادي وثقافي رمزي وهذان البعدان يشكلان الكل المتكامل للجسد من حيث التأثير والتأثر فأحدهما عياني تشكيلي مباشر والآخر تجريدي إيحائي متغير وهما بعدان متلازمان في وجوده واشتغاله في الكون وإن كانا مفترقين في العناية به مفهوماً وموضوعاً خلال ما

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

مضى من العصور فقد كانت الرؤية القديمة قاصرة عندما ترى الجسد إطاراً محدوداً وجامداً مقابل العقل الذي هو الإطار الفعلي المتغير والديناميكي لكن كل شيء تغير الآن وأصبحت الأفكار غنية جداً بالتفاعلات الفكرية الحية(الزناد، ٢٠١٤: ص٢٤) وانطلاقاً من هذه الفكرة الجوهرية يمكننا القول إن الشاعر حسن سالم الدباغ استثمر الطاقة الجسدية استثماراً حياً في نصوصه وقد رفد النصوص بالعديد من الدلالات الفكرية التي تأتت من بؤرة الجسد ولاسيما وأنه يحيا ضمن إطار مجتمعي محافظ يرتكز على عادات وتقاليدَ متنوعة، تقيد حركة الجسد في الواقع، فما كان منه إلى أن وظف الجانب الإشاري الحي في النص ليظهر الجسد بمظهره الفاعل والحقيقي، وكأنها حالة من التعويض الفكري والديناميكي لرتابة الجسد وضموره في الواقع، من هذا الباب سنتناول الجسد عبر مسارات فكرية بارزة وهي ثيمات مركزة ترتسم على وفق سياسة النص وتداخله وتفاعله مع موضوعاته الفكرية العامة:

أولا: الجسد والشهوة

لا شك أن الجسد يمثل نسقاً ضرورياً من أنساق التواصل غير المنطوق، وهو الذي ينشأ ويشتد عوده ثم يذبل ويفنى بعد أن تتلاقفه الأنساق والمؤثرات الدينية والاجتماعية العامة فتمارس عليه سلطتها الخارقة لتكبله بنظمها القمعية الحادة(الحوري، ٢٠١٨: ص٢١٥)، وهو بذلك يذهن لتلك الإرادات والقوى الخارجية الخاصة التي تحاول أن تحيد حركته البايولوجية العامة، ومن أوضح تلك السمات الجسدية الشهوة فهي نطاق شعوري متلاطم الأمواج يحيط بالجسد من كل جانب يجذبه إلى عمق التجارب التي تفعّل في روحه عنصر المغامرة، كما، الجنس صنو الجسد يتحكم كل منها بالآخر ويعبر كل منهما بالآخر فحيثما اكتمل نضج أعضاء الجنس داخل الجسم فإن ذلك سيظهر بينا لاسيما عند المرأة (مشذوب، ٢٠١٤: ص ٢٠٦) وقد وردت العديد من النصوص في شعر حسن سالم الدباغ، قد جيّر فيها قدرة الجسد على المقاومة إلى الانفتاح المبرمج والمنضبط إلى الشهوة والجنس بطبيعة الحال، ومن تلك النصوص الرئيسة ما جاء في قوله:

"الليل

لا يقوى على الوقوف في الشرفة

لا يقدر أن يلقي صغار نجمة باضت في يديه

بين الافق والافق

بقايا عتمة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

تكاد أن تنسل نحو امرأة

تنام

حد الخصر يلتف عليها شرشف

وطائر يضج فوق نهدها المكشوف

حد النصف

بالغناء

أمرأ غادرها الليل

وليل يستبيح امرأة

يحرقها البكاء"(الدباغ : والجنوب اذا تنفس: ص١٦).

يبدو أن ثمة اشتغالاً فاعلاً بين الجسد بوصفه كائناً وبين رغباته المتعددة، إذ يؤدي هذا الاشتغال إلى إبطال حالة الفردية والدخول في حالة من الازدواج بين طرفي النص، ويبدو أيضاً أن اختلاف هذا الازدواج كان واضحاً في الأنماط الّتي وظّفها الشاعر المتمثلة بالنمط الذكوري والنمط الأنثوي الّذي يسعى إليه النمط الأول بمحدداته البيولوجية، مما افضى به إلى هيمنة السلطة الذكورية بشهوتها على رؤيا النص بالكامل وظل الجسد في حالة متأرجحة بين كونه ثيمة مركزية وبين كونه ثيمة ثانوية ضمن ثيمات أخرى لا يمكن التصريح بخصوصيتها فهو هوية تمثل الصراع بين المعلن والمسكوت عنه الّذي يسعى للوصول إلى نوع من التوازن في معادلة الجسد والشهوة، ليمارس الجسد من خلال هذا التوازن فعالياته ونشاطاته بعيداً عن تأثيرات الملامح والجنس ف (بقايا العتمة) هي إشارة رامزة تختزل فعل الذكورة بكل فعالياتها وهي تنسل نحو امرأة تحت تأثير النوم(تنام حد الخصر) وإن كانت تمارس هي ذات الفعالية في تركها النصف الآخر عارياً لانتهاك الجسد الّذي غادره الرجل بمغادرة الليل.

وقد لا يلبث الشاعر كثيراً حينما تبدو اللغة لديه غير قادرة على الالمام بتفاصيل المرأة، فنراه مضطراً إلى توظيف الجسد بكل ما يحمل من ابعاد التجربة، فنجد الجسد مضيئاً باللغة المرئية، حتى تبدو الفاظ الشهوة في فضاء النص الشعري مركزة بالصور المليئة بإحساس الترقب مما يشيع طقوس الممارسة الغزليّة والعناية بالجسد الأنثوي، كما في قول الشاعر:

"**انّا نقرّب أشياءنا .....**

وانفاسنا ... ربما

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

عند منعطف

أو وراء جدار

طويلا يكون الحوار

أشتهيك

اشتهيتك ثانية

مسّني العري سيدتي

فالجمي الريح

والتمسي لحظة ليس يمنحها الليل

.....

.....

ما الذي يجعل الليل هما" "(الدباغ، لمصابيحك ارتديت عنقي: ص٨٣).

ثمة تنازع واضح بين بنية النص الشعري والحضور الجسدي، وقد احتلت فيه الشهوة بوصفها أحد مكونات الجسد الفاعلة، مساحة مؤثرة في توجيه المسار الدلالي، باتجاه ترويض الجسد بمحددات الغواية (أشتهيك/ اشتهيتك ثانية/ مسّني العري سيدتي/ فالجمي الريح /والتمسي لحظة ليس يمنحها الليل) وقد اجتهد الشاعر كثيرا لإيجاد مساحة من التناغم بينهما في اطار رؤيوي ثقافي يكشف عن اشكاليات التنازع عبر منطقة هيمنة الذكورة وسلطتها الجنسيّة، الّتي تحاول طرح نفسها بجرأة على الرغم من انها من أخطر التابوهات المحظورة، إلّا إنّ الشاعر مررها بغموض نسق الصوغ الفني الجمالي، لكن على الرغم من محاولته جعل الجسد الإنثوي يتماهى مع الجسد الاخر الذكوري، إلّا إنّه على الرغم من ذلك ظل تابعاً لهيمنة الذكر ويدور في فلكه.

اني ألفت الطريق

عرفت النجوم التي علقت

بيننا

فهل تبصرين ملامح وجهك

بين القميص

ونافذة يعتم الضوء فيها" "(الدباغ، لمصابيحك ارتديت عنقي: ص١٧٧).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

تحيل التوصيفات الجسدية في هذا النص الى فاعليتها في تأطير موقف الجسد الذكوري من الاخر الانثوي، وقد يتجاوزه إلى ابعد من ذلك ليؤسس انموذجه المرجعي الجديد والمغاير إلى معناه الراسخ، فما ألفت الطريق إلّا نسقاً مضمراً اوصل الجسد اقصى مراحل حدود المواربة مما مكنه من كشف خصوصيته وآليات التعبير عنها في محيط ثقافي يستوعبه بالشكل الّذي يجعله مرتهناً لنداء ذلك المحيط، على الرغم من قساوة المواجهة بين تخوم المثل والواقع الّذي فيه تتشكّل المكونات الجسديّة(فهل تبصرينملامح وجهك/ بين القميص ونافذة يعتم الضوء فيها) فعتمة الضوء إشارة إلى خصوصيّة الحفاظ على الجسد من الانتهاك والابتعاد به عن وطأة رغباته حتى لا يستفرغ قدسيته وصولاًإلى متعة عابرة.

إن خلق الشعريّة الجسديّة القائمة على حضور الجسد تبقى رهينة حضورها المرئي الّذي يشي بواقع الشهوة عبر استثمار سياقها الجديد الذي يتجاوز حضورها التقليدي ويؤسس اسا جديد لتلك الشعرية الجديدة، كما في قول الشاعر:

"على شرفتي النجم
يرقب
اذ تقظم الريح شرشفها الدائري
ونهر من البرتقال المذهب
يمشي
وساحرة بعد تلقي الكرات الى الماء
قلت : الطبيعة تحتفل
الطبيعة يبهرها الدائري
فمك الدائري
وجهك الدائري
خصرك الدائري
الطبيعة شيء مدور سيدتي
خطوة
كان لون السماء . العقيق
ومن مكمن بالصفير

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

تشيّعنا الريح" "(الدباغ، لمصابيحك ارتديت عنقي: ص٩١-٩٢).

من خلال معاينة هذا النص يمكن الوقوف على الوعي بخصوصية الجسد من خلال سياقات اللغة المرئية فمحاكاة الجسد يحتاج لغة بلبوس مغاير لتلك اللغة التي تصور غيره، فالجسد يضمر انساقا من الدلالات المعبرة عن موقف من مواقف الحياة فيكون الجسد عبارة عن اشارات توجيهية لتلك الدلالة فما قوله : (فمك الدائري/ وجهك الدائري /خصرك الدائري/ الطبيعة شيء مدور سيدتي/ خطوة/ كان لون السماء. العقيق) إلّا اشارات لدلالة الشهوة المجسدة، وهو بهذا التعالق الهجين جعل الاشتغال الشعري منتجا، فليس ثمة ما يخفى عن خصوصيّة هذا النوع من الصوغ الشعري المرتكز على فعل الجسد وتموضعه من خلال متواليّة من التمظهرات الّتي تنفتح على اكثر من إنزياح رؤيوي لفاعليّة الجسد وتجاوزه عن محددات معرفيّة في كون الجسد فكرة اكثر من كونه شيئا آخر.

ثانيا: الجسد الحب

يلعب الجسد دوراً محورياً مهماً في رفد الحياة بأنساقها التركيبية المتواصلة الّتي تستمد قوتها منه بوصفه عنصراً مهماً من عناصر الطبيعة الإنسانيّة، إن من أهم صور الفكر العالمي الحديث هو عد الجسد حالة موضوعاتية خاصة تقود إلى المزيد من التحرر والتفكر وتبعث إلى الحياة والحب والمساواة والعيش الهانئ (الحوري، ٢٠١٨: ص٢٥) لذا فإن من أبرز تلك السمات التي تتأصل في فكرة الجسد هو فناء الجسد للحب الرمزي وتقود إلى ذلك كل النزعات الصوفية في الفكر الإسلامي القديم "وفي خضم حديثنا عن مفهوم الجسد عند المتصوفة في جميع الديانات فالمتصوفون لا يعدون الجسد نقيضاً للروح بل وسيلتها للرقي نحو الأعلى للتقرب إلى الله" (الحوري، ٢٠١٨: ص ٢٥)، وقد رسمت الأفكار الّتي قادت الدباغ إلى توظيف الجسد في نصه إلى تناول العديد من القصائد الّتي انحدرت دلالتها الثابتة إلى دلالة متغيرة من الجسد إلى الحب:

"اصبع

ربما هي سبّابة

من بعيد

تشيرالى موعد

أو تدل اليمام

على موعد في الجوار

اصبع

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

كل ما كان يظهرمنها

وفيها

ليس في طرق البوح

ما كان يفضي

اليها

.....

.....

وحدي

على مقعد

شاغر" (الدباغ، مثلي لا يكتفي القمر بنجمته: ص١١).

يلجأ الشاعر الدباغ كثيرا إلى عملية الإنزياح الوظيفي للجسد عبر إلغاء تنميط النسق المرجعي لبعض محدداته بشكلٍ قسري من أجل اضفاء نوع من الاستبدالات الّتي تضمن احداث دلالة اخرى، ويمكن ملاحظة هذا الاستبدال حينما صاغ من الاصبع لسانا يحكي ويبوح بالحب فكان الاصبع اشبه بحدث جديد يشي بالمفاصل الزمنية، ليمارس هذا المحدد الجسدي نوعا من التواصل التفاعلي بين المكان الذي يشير إليه والبوح بتفاصيل ذلك المكان الموعد عبر جملة من السمات المرئية لجزء من مكونات الجسد الايقونية التي تشير الى ذلك الحدث الاخباري، إذ إنّ الجسدعندما يدخل في نوع من التعالقمع فاعلية من فواعل الجسم المختلفة فمن دون شك إن نزوحه التفاعلي يعد نتيجة حتمية لإرادة الجسد في ان يكون ممثلا بشكل بنائي نسقي للتعبير عن وجود مغاير.

إن حركات التحول بمحددات الجسد في مستوياته المختلفة يعد شكلا من اشكال الوجود الذي يتصف بدوام التحول وعدم الثبات فكل مرحلة من مراحل التحول هذه يكتسب الفرد وعيا مختلفا تجاه نظرته للكون والوجود وهو بالتأكيد يتفاعل مع غيره ويشرك بمفهومات متنوعة تشكّل بمجموعها مساحة مشتركة من الاطر الّتي تحكمه، ويمكن بيان تلك الاطر من خلال معاينة النص الاتي:

"**ما الذي يعرفون عن ألحب ..؟**

وأنهم بعد ما طاردتهم

عيون البنات

وما مسّهم طائف من عيون البنات

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

ولا أرّقتهم

عيون البنات

محض أعمارهم

طائر

عند سكين قاتله

/ لحظة ألموت /

بما ندّ من خوفه

يستظل ألحياة

.....

.....

انها

قال صاحبه وهو يلثم وشم آسمها

هكذا ودّعتني :

مسّدت عنقي

وأشتهت قبلة

قلت : ذي شفتي

اقضمي غلة ألروح" (الدباغ، مثلي لا يكتفي القمر بنجمته: ص٤٦-٤٧).

يكشف هذا النص عن قصدية الشاعر في اختياره لنمط من المكونات الجسدية التي تتماهى بشكل أو بآخر مع السياقات الدلالة، ليبلغ الجسد فعاليته الموارية التي تكشف طبيعة ثقافته، فمن خلال اتكائه على هذه المكونات وعلى الوعي المشترك بمؤداها الفكري والجمالي استطاع ان يشكل نسقا ثقافيا فاعلا في توجيه الدلالة، فالتركيز على المكون الجسدي (العين) يمكنه ان يكشف صورة الاخر المغاير ورغبته في خلق مساحات من التقبل وذلك ما كشفت عنه المحددات ((هكذا ودّعتني:/ مسّدت عنقي/ وأشتهت قبلة/ قلت: ذي شفتي/ اقضمي غلة ألروح)) فهذه المحددات جعلت التقبل ينتهي بتبادل القبل، الذي يعد من اكبر فضاءات التقبل هذا من جهة ومن جهة اخرى فقد كان لحضور النسيج اللغوي الدور الفاعل في حراكية الجسد إذ البسته اللغة نوعا من التمثل الرؤيوي عن طريق تركيزها الجسد وفلسفته المفترضه تجاه الحب.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

ثالثا: الجسد الحياة

تقود فكرة الجسد الشاعر على وفق رؤية دلالية مركبة إلى الإيمان بالعديد من الموضوعات المتنوعة، لعل من أهمها موضوعة الحياة، والجسد هنا يأتي مكملاً لفكرة الجسد الذي يفنى من أجل الحب، فالجسد على وفق بعض التصورات للمذاهب والأفكار العالمية القديمة الثقافة الهندية ما هو إلى مرحلة عبور مهمة للوصول إلى الحياة الخالدة التي يسمون لأجلها، لذلك كانت تتأسس هذه الفكرة على التحول الدلالي للجسد من التجسيد المادي إلى التجرد الدلالي لفكرة الحياة، (التكريتي، ١٩٧٩: ص٨٤) وتناغمت العديد من الأفكار في النص الشعري للدباغ لتمثل الدور الفاعل الّذي لعبه الجسد في صناعة الحياة:

تملاّهما اصبعا ...

اصبعا

وصاح بكفيه

كونا معا

تضمّان قلبي الى بعضه

وتشتجرا

حوله أضلعا

فيومكما اليوم دون الحسين

تذبّان عنه وان

تقطعا

**

تناديكما .....شرفات الفداء

وقد آن عن جسدي

تنزعا

بلا موعد تستفيق السيوف

فكونا على موعد

شرّعا

حملتكما

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

كالكتاب الاخير ..

بغير النزيفين

لن يسمعا

وهبتكما هفهفات الأذان

لدى الفجر يشتاق

أن يرفعا

فأن حان حيني

وغيض الفرات

وأضحت موائده

بلقعا

تقومان وحدكما للصلاة

تقيمانها

سجّدا

ركّعا" (الدباغ : مثلي لا يكتفي القمر بنجمته: ص٢٠٤).

يمكن لمتلقي النص الشعري هذا ان يكتشف ان ثمة نسقا فاعلا يوجه حراكية المعنى عن طريق مدارات التحول من لحظة الموت إلى الحياة من خلال الإفادة من محددات الجسد الّذي يشعر المتلقي بالمغايرة في الرؤى الفكرية والتبني الايديولوجي، مغايرة ترجمت عمليا عبر الرصد الاخباري لحياة بطل العلقمي ابي الفضل العباس عليه السلام، وهو يقدم نفسه وجسده فداء لاخيه الامام الحسين عليه السلام((تملاّهما اصبعا ... اصبعا وصاح بكفيه/ كونا معا/ تضمّان قلبي الى بعضه/ وتشتجرا حوله أضلعا /فيومكما اليوم دون الحسين تذبّان عنه وان/ تقطعا)) فمكونات الجسد هذه تمثل سمات المغايرة الّتي توصف بانها مؤشرات اخبارية تحدد حدود النسق الحياتي المخبوء خلف نسقها اللغوي في فضاء المحيط الضمني بالشكل الذي يكشف عن سلوكين يكمل احداهما الاخر وان بدا في ظاهرهما انهما في تضادٍ دلالي فما الموت في ساحة الافتداء إلّا حياة سعيدة، مما جعل النص يتجاوز حدود الصوغ الفني المألوف على نحو يدخله بعمليات تعالق مع قنوات اتصاليّة متعددة وتدخله في تفاعلات ثقافيّة متأتية من انعكاسات الانساق الثقافية الّتي تتجاوز سلطة النص ودلالاته، وقد استطاع الشاعر عن طريق نصه ابراز ثنائية الصراع بين الروح والجسد واذابته في تمثّلات الحياة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

من خلال تمكنه من رسم شخوص نصه بالجسد والروح من خلال الوصف والتفصيل للوصول إلى صورة الجسد الثقافي.

ومن النصوص الأخرى الّتي يمكن الاستدلال بها على تحريك الجسد ضمن دائرة فكرية موازية تتعلق بالحياة ما جاء في قول الشاعر:

"علّمتني يداك

/ وقد رفّتا فوق قلبي /

الكثير الذي لست أعرف مما تشيعان

في لحظة الاقتراب

كان قلبي يهيء ورد أشتياق كثير

وهو يلسعه النث

حتى تسلّق لبلابه شرفة العمر

وأحتوى لونه كل باب

فاتركي دمه وابدأيه من الحلم

فكما تبدأين الرحيل

يكون الاياب

يكون الإياب"(الدباغ، لمصابيحك ارتديت عنقي: ص١٠٣).

تسيدت فكرة الجسد في هذا النص بشكل جعلها مصدراً مهماً من مصادر الحياة، فالتفات الشاعر إلى المحددات الجسدية، هو انحياز لدورها الفاعل من جهة، والتحول عبر نسقيتها إلى فضاء الاشتغال المتخيل لهذه المحددات من جهة اخرى، فاليدان هما مصدر من مصادر العمل والحركة والسلام، وقد رهن الشاعر الدباغ القيمة العليا للحياة عن طريق منطلق التعلم الذي أسنده إلى اليدين، واليدان هما جزء من كلية الجسد في تحوله المفصلي الّذي يبرهن على طاقة حياتية متواصلة عن طريق أركانه المتنوعة، فعمد الشاعر إلى استثمار طاقته الشعرية الفاعلة في إسناد كلمة (رفتا) إلى اليدين، وهنا راهن على إعطاؤهما تركيبة إنسانيّة خالصة تؤكد ارتباطهما بنسق موضوعي مضمر، فهما يرفان مثل الجفن وفي ذلك كناية كبيرة على الرفقة والهدأة الّتي تتعامل بها سلطة اليدين وهي وسيلة أو نسق يكشف عن استحالة المشابهة والنظير لصاحبهما.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

فضلا عن ذلك كلّه فقد كان القلب– وهو معلم جسدي آخر– محوراً ثانوياً في النص فهو يستنطق اليدين سلوكياً ونظرياً وهل هناك أحق من القلب ليتم التعامل معه برأفة كبيرة؟ يتضح مما تقدم أن الشاعر ارتجع قدراً كبيراً من طاقة الجسد المبددة من خلال تمظهراته المنوعة إلى علامة رمزية مهمة وهي اليدين، فضلا عن المساحة الكاملة الّتي يضفيها القلب على النص انطلاقاً من حساسيته المفرطة تجاه الأشياء، فكان أفضل ما يعبر به عن الحياة بتجلياتها المختلفة.

الخاتمة :

قد خلصت هذه المعاينة النقدية إلى حزمة من النتائج البحثية نجملها في الآتي:

- تبقى فكرة الجسد واحدة من أهم الأفكار الجدلية المتجددة، التي تفضي في كل مرة إلى نتائج فكرية وأسلوبية جديدة عندما يتم تأسيسها في نصوص أدبية وأعمال فنية حية.
- تُختزل فكرة الجسد في نص الشاعر العراقي حسن سالم الدباغ عبر إمكاناته الإبداعية المتجددة، عبر توظيفها في جانبها الإشاري الفاعل، فالجسد يتمتع أدوات تعبيرية متكاملة لها وظائفها الخاصة، فهي تختلف اختلافاً كلياً عن الأساليب المنطوقة لكنها تتفق معها في المغزى البياني والفكري.
- استطاع الدباغ أن يبرهن على فاعلية الجسد في نصه عبر مساره الثابت انطلاقاً من أركانه العمومية الفاعلة وهي الوجه والرأس واليدان، وهذه المرتكزات الثلاثة تعتلي السياق الجسدي العام، وقد كرس لها الدباغ ثقله التعبيري الإشاري مسنداً ذاته الشاعرة إلى موضوعات ودلالات فكرية متنوعة لكنها مالت بطبيعة الحال إلى جانبها الوجداني والتراجيدي.
- ولأن الجسد حالة ظاهراتية من حيث فكرتها الأولى حاول الدباغ أن يتأسس معه على وفق منظور مختلف، فقد تحرك الجسد عبر نسقه الثابت إلى نسق دلالي متغير قاده بطبيعة الحال إلى علاقة استبدالية مستدامة مع موضوعات فكرية كثيرة منها الجسد للشهوة الذي يقود للجنس والجسد للحياة والجسد للحب، فضلا عن حلول العديد من النصوص الشعرية لموضوعات متنوعة ضمن هذه الترسيمة الفكرية الثلاثية.
- ثمة ما يشير إشارة صريحة أن الشعر العراقي الحديث عبر تحليل هذه العينة الشعرية للشاعر العراقي حسن سالم الدباغ يوظف الجسد توظيفاً دلالياً جديداً عندما يحاول أن يخرجه من أطره الفكرية المعهودة إلى تجليات مضمونية مضمرة في عمق الموروث المجتمعي، وهذا ما يبرهن على مزية الشعر العراقي عن الشعر العربي الحديث الذي تناول موضوع الجسد في غير موضع برتابة

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد الثاني عشر
٢٠٢٢م/١٤٤٤هـ

معهودة عافها شعراء العراق عندما تجسدت الإثارة الدلالية والفكرية للجسد عبر الواقع أولا والنص ثانيا.

المصادر والمراجع:

١. أنثروبولوجيا الجسد والحداثة، دافيد لوبرتون، ترجمة: محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
٢. تمظهرات الجسد في الرواية العربية الحديثة، موسى الحوري، دار تموز ديموزي، الطبعة الأولى، ٢٠١٨.
٣. الجسد الأنثوي هوية الجندر، خلود السباعي، دار جداول، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠١١.
٤. الجسد والمسرح، نديم معلا، عالم الفكر، العدد (٤) المجلد (٣٧) ٢٠٠٩، المجلس الوطني للآداب والثقافة والفنون، الكويت.
٥. جماليات الجسد بين الاداء والاستجابة، علاء مشذوب، دار صفحات، الطبعة الأولى، بغداد،٢٠١٤.
٦. حفريات الجسد المقموع (مقاربة سوسيولوجية ثقافية)، مازن مرسول محمد، منشورات الضفاف، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠١٥.
٧. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبدالغفور العطار، دار العلم للملاين، الطبعة الرابعة، بيروت، ١٩٩٠.
٨. لغة الجسد في القرآن الكريم (العين والوجه واليد نموذجاً)، كمال عبدالعزيز ابراهيم، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠
٩. اللغة والجسد، الأزهر الزناد، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بغداد، ٢٠١٤.
١٠. لمصابيحك ارتديت عنقي، حسن سالم الدباغ .
١١. مثلي لا يكتفي القمر بنجمته، حسن سالم الدّبّاغ .
١٢. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر، مكتبة الشرق الدولية، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤.
١٣. المعرفة والسلطة، ميشيل فوكو، ترجمة: عبدالعزيز العيادي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.
١٤. والجنوب إذا تنفس، حسن سالم الدّبّاغ.